

القروض والارتهان الاقتصادي من إدارة الأرقام إلى استبعاد الأجيال

الخبر:

نقلت بوابة أخبار اليوم، الخميس 18/12/2025م، أن رئيس الوزراء المصري مصطفى مدبولي أكد أن الدين العام بات مصدر قلق للناس مع ارتفاع المعيشة، مؤكداً أن الحكومة تديره في ظروف دولية صعبة منذ عام 2020. وأوضح أن مصر سددت صافي دين خارجي بنحو 3.4 مليار دولار خلال عام، وحولت 11 مليار دولار من التزامات إلى استثمارات طويلة الأجل، وأن 81% من الدين بات طويلاً الأجل لتخفيض ضغوط السداد. وأكد استخدام أدوات مثل مبادلة الديون، وأن تقييم المسار لا يكون بحجم الدين بل باتجاهه وهيكله، مع التزام الحكومة بخفض الأعباء وتحسين معيشة الناس على المدى المتوسط.

التعليق:

في كل مرة تُعلن فيها السلطة عن أرقام جديدة تتعلق بالديون الخارجية، تُقدم الأرقام في قالبٍ يوحى بالإنجاز: سداد مليارات هنا، وإعادة هيكلة هناك، وتحويل التزامات إلى استثمار طويل الأجل. غير أن القراءة المتأنية، بعيداً عن العناوين الدعائية، تكشف حقيقةً واحدة لا تتبدل وهي أن المديونية ليست أرقاماً ثُدار، بل أعباءً ثُمَّل على ظهور الناس، وارت هناً لإرادة البلاد، وقيوداً تُثْدَد على أنفاس الأجيال القادمة.

الخبر المعلن يتحدث عن سداد جزء من الديون خلال عام، وعن تحويل التزامات بمليارات الدولارات إلى استثمارات طويلة الأجل، وعن كون أغلب الدين طويلاً الأجل. لكن السؤال الجوهرى الذي يجب أن يُطرح هو ما طبيعة هذا المسار؟ ولمن ثُدار الدولة؟ وبأي معيار يُقاس الصواب والخطأ؟

القرض الاجنبي لا يُسند من فراغ، بل من كَّ الناس وعرقهم والضرائب المفروضة عليهم وارتفاع الأسعار وتقليل ما يُنفق على رعاية شؤونهم. كل دولار يُستدان اليوم هو التزام في الغد، وكل جدول سداد ممتد هو تقييد لحرية القرار السياسي والاقتصادي. حين تُقال عبارة دين طويلاً الأجل، فإن معناها الواقعي أن أجيالاً لم تُستشر ولم تُنتخب أحداً سُطّالب بالدفع، دون أن يكون لها رأي في أصل الاستدانة ولا في شروطها.

إن تحويل الديون إلى استثمار لا يُخرجها من حقيقتها؛ إذ يبقى الأجنبي شريكاً متحكماً، ويبطل القرار الاقتصادي مرهوناً بمصالح الدائنين، سواء سُمي الدين قرضاً أو استثماراً أو مبادلة. فالنتيجة واحدة وهي أن السيادة تُجزأ، والقرار يُقيَّد، والناس يدفعون الثمن.

لم تُعرف دولة ارتهنت بالديون إلا ودخلت معها شروط سياسية واقتصادية، تفرض باسم الإصلاح والالتزام. تُعاد صياغة القوانين، وتُرفع الأسعار، وتُفتح الأسواق، وتُغلق الأبواب في وجه الناس، ليس لأن ذلك أصلح لهم، بل لأنه يرضي الدائن ويفضّل تدفق السداد.

وهنا تتحول الدولة من راعٍ لشؤون الناس إلى وكيل تحصيل، وتصبح السياسة الاقتصادية قائمة على إرضاء الخارج لا على رعاية الداخل. وهذا هو جوهر الرأسمالية: تقديم المال على الإنسان، والربح على العدل، والقوة المالية على القيم.

فوق كل ما سبق من أعباء اقتصادية وتبعة سياسية، تبقى الحقيقة الأخطر أن هذه القروض هي ربا صريح، لا يغير من حكمها تغيير الأسماء ولا طول الأجل. وقد جاء التحريم قاطعاً في كتاب الله، قال تعالى: ﴿بِاَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَدُرُّوا مَا بَقَى مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعُلُوا فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾. فأيُّ خطر أعظم من سياسة تقوم على ما وصفه الله بأنه حرب عليه وعلى

رسوله؟ وأيُّ بركة تُرجى من اقتصاد يُبني على معصيةٍ بهذا الحجم؟ إن آثار الربا لا تقتصر على الحسابات، بل تمتد إلى نزع البركة، وانتشار الظلم، وضيق العيش، واضطراـب المجتمع.

يُقال إن نسبة الدين إلى الناتج "ضمن الحدود"، وإن أغلب الدين طويـل الأجل، وإن الإدارـة رشيدة. غير أن هذه اللغة تُخفي سؤالـاً أساسـاً هو لماذا تُدار الـبلاد أصلـاً بهذا المنـطق؟ لماذا يكون الحل الدائم هو الاستـدانـة؟ ولـماذا يُصرـ النظام الرأسـمالي على معـالـجة الأـزمـات بمـزيدـ من الـديـون؟

إن الأـرقـام، مـهما زـينـتـ، لا تـغيـرـ من حـقـيقـةـ أنـ النـاسـ يـزـادـونـ فـقـراـ، وـالـأسـعـارـ تـرـتفـعـ، وـالـعـلـمـةـ تـضـعـفـ، وـالـخـدـمـاتـ تـتـرـاجـعـ. وـهـذاـ وـحـدهـ كـافـ لـإـسـقـاطـ السـرـديـةـ الرـسـمـيـةـ.

إن المـشـكـلةـ لـيـسـ فـيـ سـوـءـ إـدـارـةـ عـابـرـةـ، بلـ فـيـ النـظـامـ الـذـيـ يـحـكـمـ مـنـ الـأـصـلـ. الرـأسـمـالـيـةـ تـجـعـلـ الـمـالـ مـحـورـ السـيـاسـةـ، وـتـبـيـحـ الـرـبـاـ، وـتـشـرـعـنـ الـاسـتـدانـةـ، وـتـحـوـلـ الـدـوـلـةـ إـلـىـ أـدـاءـ لـخـدـمـةـ رـأـسـ الـمـالـ. ولـذـلـكـ فـهـيـ تـنـتـجـ الـأـزـمـاتـ ثـمـ تـدـعـيـ عـلـاجـهـاـ، بـيـنـمـاـ تـعـمـقـ الـجـراـحـ.

أـمـاـ إـلـاسـلـامـ، فـلـهـ نـظـرـةـ مـغـاـيـرـةـ كـلـيـاـ وـجـذـرـيـاـ: فـإـلـاسـلـامـ يـمـنـعـ الـرـبـاـ مـنـعـاـ بـاـتـاـ، وـيـجـعـلـ رـعـاـيـةـ شـوـؤـنـ النـاسـ غـاـيـةـ الـحـكـمـ، وـيـقـيـمـ الـاـقـتـصـادـ عـلـىـ مـلـكـيـاتـ وـاضـحـةـ، وـمـوـارـدـ عـامـةـ، وـنـقـدـ ثـابـتـ، وـسـيـاسـةـ مـالـيـةـ لـاـ تـحـمـلـ النـاسـ مـاـ لـاـ يـطـيقـونـ.

إنـ الـحـلـ لـيـسـ فـيـ إـعـادـةـ جـوـلـةـ الـقـرـوـضـ، وـلـاـ فـيـ تـحـسـينـ شـرـوـطـهـاـ، وـلـاـ فـيـ تـبـدـيلـ مـسـمـيـاتـهـاـ، بلـ فـيـ قـطـعـ الـطـرـيـقـ عـلـيـهـاـ مـنـ أـصـلـهـاـ. الـحـلـ فـيـ نـظـامـ اـقـتـصـادـيـ إـسـلـامـيـ يـمـنـعـ الـرـبـاـ، وـيـحـرـرـ الـقـرـارـ، وـيـسـتـثـمـرـ الـثـرـوـاتـ لـصـالـحـ الـأـمـةـ، وـيـعـيـدـ لـلـدـوـلـةـ وـظـيـفـتـهـاـ الـحـقـيقـيـةـ: الـرـعـاـيـةـ لـاـ جـبـاـيـةـ.

إنـ قـيـامـ دـوـلـةـ تـحـكـمـ بـإـلـاسـلـامـ حـكـمـاـ كـامـلـاـ، وـتـتـبـنـىـ نـظـامـهـ الـاـقـتـصـادـيـ، هوـ وـحـدهـ الـكـفـيلـ بـإـنـهـاءـ دـوـامـةـ الـدـيـونـ، وـإـسـتـعـادـةـ السـيـادـةـ، وـإـقـامـةـ الـعـدـلـ، وـبـعـثـ الطـمـانـيـةـ فـيـ حـيـاةـ النـاسـ.

ياـ أـهـلـ الـكـنـانـةـ: إنـ مـاـ تـعـاـنـوـنـهـ لـيـسـ قـضـاءـ مـحـتـوـمـاـ، وـلـاـ نـتـيـجـةـ كـسـلـ وـلـاـ نـقـصـاـ فـيـ الـمـوـارـدـ، بلـ هوـ ثـمـرـةـ نـظـامـ فـاسـدـ فـيـ أـسـاسـهـ فـرـضـ عـلـيـكـمـ، وـحـكـمـتـ بـهـ عـقـوـدـاـ. لـاـ تـنـخـدـعـوـ بـلـغـةـ الـأـرـقـامـ وـلـاـ بـتـغـيـرـ الـعـنـاوـينـ؛ـ فـالـقـرـضـ قـرـضـ وـلـوـ سـمـيـ قـرـضـاـ، وـالـرـبـاـ رـبـاـ وـلـوـ غـلـفـ بـالـتـقـارـيرـ. وـالـرـأسـمـالـيـةـ هـيـ الـدـاءـ، وـإـلـاسـلـامـ هـوـ الـدـوـاءـ. تـمـسـكـواـ بـدـيـنـكـمـ، وـعـواـ عـلـىـ حـقـيقـةـ مـاـ يـدـارـ بـاسـمـكـ، وـاعـلـمـواـ أـنـ التـغـيـرـ الـحـقـيقـيـ يـبـدـأـ مـنـ تـغـيـرـ الـفـكـرـةـ الـتـيـ تـحـكـمـونـ بـهـاـ. وـاعـلـمـواـ أـنـ خـلـاـصـكـمـ لـيـسـ فـيـ مـزـيدـ مـنـ الـاسـتـدانـةـ، بلـ فـيـ الـوـعـيـ، وـرـفـضـ الرـأسـمـالـيـةـ، وـالـتـمـسـكـ بـإـلـاسـلـامـ نـظـامـ حـيـاةـ وـدـوـلـةـ.

ياـ أـجـنـادـ الـكـنـانـةـ، ياـ أـهـلـ الـقـوـةـ وـالـمـنـعـةـ، إنـ اللهـ جـعـلـكـمـ أـصـحـابـ قـدـرـةـ وـتـأـثـيرـ، وـلـمـ يـجـعـلـكـمـ حـرـاسـاـ لـلـتـبـعـيـةـ وـلـاـ دـوـاتـ لـتـنـفـيـذـ سـيـاسـاتـ تـقـرـرـ شـعـبـكـمـ وـتـغـضـبـ رـبـكـمـ. إـنـ الـانـحـيـازـ الـحـقـيقـيـ لـيـسـ لـلـسـلـطـةـ وـلـاـ لـلـدـائـنـ، بلـ لـلـأـمـةـ وـلـدـيـنـهـاـ، فـانـحـازـوـاـ لـمـشـرـوعـ يـرـضـيـ اللهـ، وـيـحـرـرـ الـبـلـادـ، وـيـعـيـدـ لـمـصـرـ مـكـانـهـاـ، وـيـكـتـبـ لـكـمـ شـرـفـ الـنـصـرـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ.

﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

سعـيدـ فـضـلـ

عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير في ولاية مصر